

الحوار الفكري

مجلة فكرية محكمة تصدر دوريا عن مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية

مهاور العرو:

- المحور الأول: ➤ حوار مع التاريخ ومؤرخ أديب متميز
- المحور الثاني: ➤ مع الفكر السياسي الحديث وقيم الحوار الحضاري
- المحور الثالث: ➤ مع الإسلام والعولمة
- المحور الرابع: ➤ دراسات وتأويلات في اليهودية والإسلام
- المحور الخامس: ➤ ثورات ومواقف في إفريقيا
- المحور السادس: ➤ تاريخ المدن والمجتمع
- المحور السابع: ➤ المرأة في نظر الأنتلنجسيا الجزائرية المتأوربة
- المحور الثامن: ➤ ترجمة ومتابعات نقدية
- المحور التاسع: ➤ رسائل وأطروحات ترى النور لأول مرة

السنة الرابعة العدد السادس شعبان 1425 هـ / سبتمبر 2004

ISSN 1112 - 5144

مطبوعات جامعة

منتوري - قسنطينة

مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية

تم الطبع بشركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين مليلة * الجزائر

الهاتف: 032. 44. 95. 47 / 032. 44. 92. 00.

الفاكس: 032. 44. 94. 18

<http://www.elhouda.com>

الحوار الفكري

مجلة فكرية محكمة تصدر دوريا عن مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية

مدير المجلة:

د. عبد الكريم بوصفصاف

رئيس التحرير:

د. لخضر مذبوح

هيئة التحرير

7 - أ. د. عبد الرحيم سكفالي

8 - د. عبد العزيز بلحشر

9 - د. الطاهر ذراع

10 - د. لخضر مذبوح

11 - أ. د. عبد الوهاب خالد

أ. د. عبد الكريم بوصفصاف

أ. د. إسماعيل زروخي

أ. د. محمد الصغير غانم

أ. د. الزواوي بغوره

أ. د. فريدة غيوة

أ. د. بوبة مجاني

الهيئة العلمية

أ. د. أبو القاسم سعد الله، جامعة الجزائر

أ. د. عبد الله شريط، جامعة الجزائر

أ. د. فتحي التريكي، جامعة تونس

أ. د. محمد الهادي الشريف، جامعة تونس

أ. د. محمد حسين فنطر، جامعة تونس

أ. د. حسن حنفي، جامعة القاهرة

7. د. أودنيس العكرة، جامعة لبنان

8 - د. محمد المصباحي، جامعة الرباط

9 - د. عبد الرحمن التليلي، جامعة تونس

10 - د. نصر الدين سعيدوني، جامعة الكويت

11 - د. باتريس فرمران، جامعة باريس 08

10 - د. العربي سالم الشريف، جامعة الزاوية،
الجمهورية الليبية

الاشتراكات والمراسلات:

مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية

جامعة منتوري قسنطينة

مجمع كوحيل لخضر

شارع البلاطان، قسنطينة 25000

هاتف/ فاكس: 00 213. 31. 92. 35. 46

www.Labohitphilo@yahoo.Fr

شروط النشر في المجلة

تنشر مجلة (الحوار الفكري) المواد العلمية المتصلة بالعلوم الانسانية والاجتماعية وذلك وفق الآتية:

- 1 - أن يكون المقال جديداً، ولم يسبق نشره في مكان آخر.
- 2 - أن يتوفر المقال على الشروط العلمية والمنهجية.
- 3 - تخضع المقالات للتقييم من طرف خبراء محايدين.
- 4 - لا ترد المواد إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.
- 5 - الآراء الواردة في المقالات لا تعبر إلا عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- 6 - يجب أن تكتب المقالات على الحاسوب أو على الآلة الراقنة أو بخط واضح، وأن تكون على وجه واحد من الورق.
- 7 - لا يقل المقال عن عشر (10) صفحات وأن لا يزيد عن خمس وعشرين (25) صفحة.
- 8 - المقالات والبحوث والدراسات التي يقترح المحكمون إجراء تعديلات أو إضافات عليها تعال أصحابها لإجراء التعديلات المطلوبة قبل النشر.

ملاحظات:

- 1 - ترتيب المقالات والبحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.
- 2 - يعطى الباحث المساهم في العدد نسختان من المجلة.

الفهرس

الافتاحية العدد: لحظات ومواقف

أ. د. عبد الكريم بوصفصاف مدير المجلة 7

الحوار

حوار مع عميد المؤرخين الجزائريين الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله

أجرى الحوار أ. د. عبد الكريم بوصفصاف والأستاذة. دلال لواتي 15

المقالات والبحوث:

تم التسامح والحوار في ثلاثية الشيخ عبد الحميد ابن باديس

د. لخضر مذبوح 25

بعد التاريخي للتعددية الحزبية في الجزائر

أ. ناجي عبد النور 31

فريات الوعي السياسي عند المسلمين

أ. محمد بن جدية 43

تحليل والأغلوطة الطبيعية في الأخلاق عند جورج مور

د. محمد فوزي الجبر 49

سلام والعملية

د. عليوان السعيد 59

ضمة الذر عند بعض المسلمين وآراءهم في ذلك

د. منصور عفيف 67

ألوئية في اليهودية بين الدين والسياسة

د. موسى معيرش 87

بعد الفلسفي في مؤلفات الغزالي النقدية

أ. الشريف طاطاو 101

حالة لفهم إشكالية التدهور

أ. أحمد ملاح 113

ارت في العصور القديمة

أ. د. خديجة منصوري 115

دراسة إيكونوغرافية لفسيفساء ترمز للإله جوبتر

د. صغيري أحمد

مساهمة في التاريخ الإقتصادي لبلاد المغرب الأوسط

د. علاوة عمارة

الحياة الاجتماعية للجيش الإنكشاري في الجزائر خلال العهد العثماني

أ. حنيفي هلايلي

حركة الجامعة الإفريقية وعلاقتها بالثورة الجزائرية

أ. عزيز مصطفاوي

موقف المتجنسين الجزائريين من المرأة خلال النصف الأول من القرن العشرين

أ. معماش النوي

يوميات طفل مهاجر

د. عبد القادر خليف

الترجمة

"المجتمع المفتوح وأعداؤه" لمؤلفه كارل بوبر

ترجمة د. لخضر مذبوح

المتابعات النقدية

الطريق منذ بنية الثورات العلمية

أ. توماس كوهن مراجعة وترجمة د. لخضر مذبوح

الرسائل والأطروحات

الفكر العربي الحديث والمعاصر - محمد عبده وعبد الحميد بن باديس - (نموذجا)

د. عبد الكريم بوصفصاف

{ إن الأفكار الواردة في المقالات والبحوث لا تعبر إلا عن رأي أصحابها }



إفتتاحية المجلة

لحظات ومواقف

مدير المجلة

د. عبد الكريم بوصفاف

هناك لحظات ومواقف تاريخية حاسمة، تتفاعل فيها الأحداث والخطوب في أحيان كثيرة، تبرز في كل مرحلة جديدة، ينتقل إليها المجتمع في مسيرته نحو الرقي والتقدم، كما هو حال الشعب ثري في البحث عن الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، والتي شغلت باله منذ أمد بعيد، وسيطرت هواجس المثقفين والمفكرين فيه أربع مرات على الأقل.

نكانت الأولى يوم الخامس من شهر تموز (جويلية) 1830م، حين نكس العلم الوطني في مدينة الجزائر سمة وارتفع مكانه العلم الفرنسي، بعد أن استولت قوات الاحتلال الأجنبي على الأسوار والقلاع يات الحكومية وطوقت المدينة من كل حذب وصوب، وعندما تساءل الناس: عما حدث؟ ولماذا ث في هذا اليوم بالذات؟، كانت إحدى الإجابات الرئيسة: هي نقص المشاركة في السلطة، وغياب ر العام بين القيادة والشعب، بل وحتى بين القيادة وعلماء الأمة وعقلائها، وترتب عن ذلك كله، أن ت البلاد في النفق الإستعماري المظلم، خارج التاريخانية الطبيعية للأمة.

الثانية يوم الفاتح من تشرين الثاني (نوفمبر) سنة 1954م، عندما انفجر بركان الثورة العارمة ضد نلال الأجنبي، فتساءل الناس وكان السؤال هذه المرة أيضاً: لماذا وقع هذا الانفجار؟ وعما حدث؟ ب حدث؟. فكان الجواب: "نحن جند في سبيل الحق ثرنا وإلى استقلالنا بالحرب قمنا لم يكن ب لنا لما نطقنا فاتخذنا رنة البارود وزنا وعزفنا نغمة الرشاش لحنا". وكان ذلك كله من أجل البحث الحرية والديمقراطية، وكانت الثالثة، يوم الخامس يوليو (جويلية) سنة 1962م، عندما نكس العلم سي في الجزائر، ورفرف العلم الوطني على المؤسسات والبنائات الحكومية الرسمية، كما كان قبل 5 ية 1830م، وتساءل الناس أية سانحة رحمة هذه نزلت علينا بعد قرن وثلاث قرن من القهر والإقصاء ريد والتعذيب والتقتيل وكما الأفواه؟، وكان السؤال الدقيق في هذه المحطة يختلف عن السؤالين قمين، ولكنه يصب دائماً في مجرى واحد، وهو الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان: كيف حدث ما ث؟ ومن ذا الذي غير مجرى تاريخ هذه الأمة في بضع سنوات منذ انفجار البركان؟ هل هي وحدة ب وتضامنه؟ أم أنها منة من السماء نزلت عليه بعد معاناة طويلة؟ أم أن عاملها الرئيس هو غياب ة والديمقراطية وحقوق الإنسان؟. وكان الجواب كل هذه الثلاثة معاً.

سترجعت البلاد سيادتها السياسية والاقتصادية، وقبلاً ضئيلاً من ثقافتها الوطنية، وزين للناس نظام فراطيات الشعبية، الذي كان مطمح كل الأمم، التي انفلتت حديثاً من ربة الاحتلال الأجنبي، مت الديمقراطية في إطار الحزب الواحد، وأقصى كل تيار ينحو منحى مغايراً، لما تقرر في إطار فراطية الاشتراكية، التي كانت موضوعة العصر خلال الأربعة عقود التي أعقبت الحرب الكونية الثانية، رت الديمقراطية الليبرالية طبقية أرستقراطية رأسمالية جشعة، لا تفي باحتياجات الجماهير الشعبية،

التي كانت وفيه لمبادئ الثورة، لأن الجماهير في تلك المرحلة كانت توافقة للحرية والديمقراطية، وتعني شيئاً من هذين المصطلحين إلا: الحق في التعليم والعمل والمسكن، كما نصت عليه مبادئ 1962م.

وبعد حوالي ثلاثة عقود من الزمن، اتضح أن الديمقراطية كانت تعيش في قفص مغلق، والإنسان لا تعني إلا الثلاثي المذكور آنفاً، فبدأ ضمير الأمة يتململ تدريجياً، ويحاول صياغة من جديد في قالب آخر، يختلف تمام الاختلاف عن الماضي، لا سيما في مرحلة الدولة (1979 - 1990م) حين بدأت سهام النقد الحادة، تنهال على السلطة من مختلف التيارات الدينية، وأنكر الناس عن ذوي الفضل فضلهم في تأطير الأمة وإخراجها من النفق الإستعماري وبدأت أشباح التغيير تتراقص على المسرح الوطني، واستغلت العناصر المعادية للسلطة والرافضة للديمقراطية الشعبية ضعف الدولة لتحريض الفئات المحرومة والفئات المهمشة، واجتمع اليمين واليسار دون إلتفات على الانتفاضة والعصيان، وشاطرته العناصر الطفيلية والانتهازية، وراح الجميع يستهدفون السلطة وإضعاف النظام بطرق وأساليب تتناقض في كثير من الأحيان مع القيم الدينية والمبادئ ومصالح الشعب، حتى بدت الأمة برمتها وكأنها تلج نفقا مظلماً من جديد، بعد أن نعمت بأنوار والاستقلال ردحاً من الزمن.

وكانت الرابعة في اليوم الخامس من شهر تشرين الأول (أكتوبر) 1988م، عندما هبت العاصفة من عقاليها تخرب وتدمر وتهدد بالويل والثبور لمن يقف في طريقها، ولم تعد إلى رشحها أن أتت على كل الأخضر واليابس في العاصمة والمناطق المجاورة لها، واخترقت ما كان مقدساً ما كان محرماً سياسياً وايدولوجياً، وكان السؤال في هذه المرة: لماذا حدث هذا الطوفان الجارف أحدثه؟ فكانت كل الأجوبة تصب في بعد واحد وهو دائماً: غياب الحوار وقلة المشاركة في القرار، غير أن الانفجار هذه المرة، قد انبثقت منه شرارة الأمل من جديد في الديمقراطية وحرية الصحافة والتعددية السياسية، فهب كل متسيس يجرب حظه ويجمع حوله خمسة عشر ممن كانوا يزعمون عشق الديمقراطية والتعددية الحزبية والهيام بهما، فتجاوز عدد الأحزاب عدد اليمين ست مرات، وصار كل حزب بما لديهم فارحين.

وبعد هذه المحطة الرابعة، قام الفكر الوطني الجزائري بعمليتين مهمتين هما: الفرز والنقد الذاتي من الأطروحات التي سلم بها نظرياً، أو على الأقل قبلها من الناحية العملية فيما يتصل بالديمقراطية أهم هذه الأطروحات، تلك المتعلقة بالصلة بين التغيير الاجتماعي والديمقراطية.

وقبلت التيارات السياسية فكرة التناقض بين متطلبات التغيير السريع، واحترام الحريات للمواطنين، كما تصورت في السياق نفسه وجود تعارض بين اعتبارات التحول الإشتراكي المخططة، وحق المواطنين في التنظيم أو احترام المبادرات المستقلة للنقابات والمنظمات النقابية والمهنية مستوى الممارسة، تمت ظاهرة العنف واستفحلت عمليات الإرهاب والإغتيالات الجماعية والفرد تتورع المعارضة الإسلامية في إغتيال النساء والأطفال والشيوخ، بل وفي تدمير المؤسسات والإقتصادية والإجتماعية، والدينية، إذ لم تسلم حتى المساجد من التفجيرات اليومية، التي طبعه الوطنية، طوال عقد التسعينات من الألفية الثانية تقريباً.

في الوقت ذاته، لم تتورع السلطة من ناحيتها في ممارسة العنف المضاد، وقمع كل من اشتبه في أمره. ت البلاد هذه المرة في دوامة حقيقية لم يسبق لها مثيل، بين الإخوة الأشقاء في الجزائر، واحتلظ ، بالغال، ولم يعد يميّز في أحيان كثيرة بين الأبرياء والجرمين، سواء من قبل المارقين أو من قبل النظام م، وتحصر الناس على عصر الزهو الاقتصادي والاجتماعي، الذي طبع مرحلة مؤسس الدولة الجزائرية ثة: الرئيس الراحل هواري بومدين، وظهرت أحزاب قوية وأخرى مجهرية، تنشّد كلّها الحرية بقراطية وحقوق الإنسان، ولكنها لم تستطع إخراج البلاد من الأزمة العامة، لأنها كانت مستفحلة بحكمة، وتغير الرئيس تلو الرئيس، على مستوى القمة والقاعدة على حد سواء، ولكن لا أحد اع إطفاء نار الفتنة، وارتدت الأنظار إلى الماضي، تبحث عن منقذ جديد قادر على إنتشال البلاد اجها من مستنقع الإرهاب، الذي أغرق البلاد في بحر من الدماء والدموع، ووقع الإختيار على رجل س في السياسة والديبلوماسية، وهو رجل قديم حديث متجدد، عاش العهدين وغرف من المرحلتين: لة الإحتلال ومرحلة الاستقلال، ألا وهو السيد "عبد العزيز بوتفليقة"، فقبل إنتخاب الأمة وأطفا نار : ثلاثة أرباعها، وبدأت الديمقراطية تنمو وتتجذر يوماً بعد يوم، رغم بعض العثرات المرافقة لتنامي ة الديمقراطية ذاتها وانفلاتها من القبضة الحديدية لبعض المستحكمين.

جاءت العهدة الرئاسية الثانية، وتحالف جل النخبة السياسية، ضد الرئيس المترشح ولكن هذه النخبة قد ت سطوتها في المجتمع، لأن تحالف الشعب التلقائي كان أقوى من تحالفها. ورافق الحملة الإنتخابية جديد من الديمقراطية لم يسبق له مثيل، في الوطن العربي والإسلامي قاطبة، وبينما استطاع الرئيس نح للعهدة الثانية أن يتمالك أعصابه، وأن يواجه هذه التحولات الجارفة برباطة جأش وسعة صدر، منافسوه يسقطون تباعاً في شبك النقد الجارح، والتحامل الفادح على المنافس القوي، وظنوا أن ذلك سعف من حظوظه عند الجماهير الشعبية، ولكن حملتهم الصاخبة دلت على ضعف التجربة وسوء مال مبدأ الديمقراطية في الحوار والمنافسة، وكان الفوز للحكمة والتعقل وسعة الصدر فترّج الرئيس شح على أريكة المرادية مرة أخرى، ويبدأ من حينه عن المصالحة الوطنية، التي أصبحت مطلباً ملخاً ، غالبية الجماهير.

والآن يتساءل الناس بعد هذه التجربة الرائدة في مجال الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان في بلادنا، أي مدى سيكون لهذه التجربة تأصيلاً وتعميقاً في مسار الأمة مستقبلاً؟، هل أنها وصلت إلى نقطة رجوع وهي تعبر فعلاً عن صدق السياسة ورجالها؟ أم أنها مجرد خطوة نحو الديمقراطية فرضتها رف البلاد المستعصية لا تلبث إلا أن تبخر بعد حين؟ ولكن يبدو أن مفهوم الديمقراطية عندنا، لم يكن يوماً لدى الجميع على نمط واحد.

فما معنى الديمقراطية وما مدلولها العلمي؟

لا بأس أن أقف هنيهة في هذه الافتتاحية مع بعض الآراء والنظريات السياسية والفلسفية التي نضجت بقت في بلدان شتى عبر العصور. والتي تدور في مجملها حول مفاهيم الديمقراطية.

تثير مفاهيم الديمقراطية اختلافات واجتهادات متعددة بين الناس، لأن الديمقراطية ذاتها انبثقت عن ملة المدارس المختلفة. فهناك المدرسة الليبرالية والمدرسة الماركسية، وهناك التطورات والإضافات التي نقت نمو وانتشار هاتين المدرستين، ضف إلى ذلك الخلاف حول التعبير المؤسسي والأشكال التنظيمية ييمقراطية، فالتمثيل النيابي الذي يأخذ غالباً كإحدى مسلمات الديمقراطية مثلاً، نجده محل خلاف

واسع بين الفقهاء وعلماء السياسة. فجان جاك روسو مثلاً يعتبر التمثيل النيابي تزييفاً للديمقراطية لأنه يؤدي إلى إقصاء الشعب عن إدارة شؤونه بنفسه، وهو في واقع الحال ينقل السيادة الأمة إلى البرلمان، و"التمثيل تدجيل"، كما ترى النظرية العالمية الثالثة (الكتاب الأخضر).

أما البعض الآخر فيرى أن الديمقراطية تكمن في تعدد الأحزاب وتعدد الآراء انطلاقاً من النظرية أن: "الديمقراطية هي حكومة تعدد الأحزاب"، بينما يرفض فريق ثالث ربط العلاقة بين الديمقراطية وشكل تعدد الأحزاب، ويعتبر الحزب خيانة للشعب، ويعتقد أنه يمكن توفر الديمقراطية في إطار الواحد، وهذا النمط من الديمقراطية كان مفضل في العالم الثالث من أجل الكفاح والتنمية المسيرة. أما الفريق الرابع فيرى أن السياق الاجتماعي ضروري للنظام الديمقراطي. فالديمقراطية عند هذا ليست مجرد شكل أو إطار للتنظيم السياسي، ولكن استمرارها وازدهارها يرتبطان بوجود بيئة اجتماعية وثقافية ملائمة. وهناك آراء ونظريات كثيرة في هذا المجال.

أما رأي خامس فيصّل بين ديمقراطية النظام السياسي وديمقراطية التنظيمات الاجتماعية الأخرى. أن ازدهار ديمقراطية الأولى مرتبط بتوافر ممارسات ديمقراطية على مختلف المؤسسات: الأسرة والمدرسة أو النقابة، كيف يتصور أن يكون مواطننا مشاركاً؟.

أما اتجاه سادس فيربط بين ازدهار المؤسسات الديمقراطية ووجود قيم معينة في الثقافة السياسية للمجتمع. ويقوم هذا الرأي على ساق واحد وهو استمرار الديمقراطية استناداً إلى وجود منظومة من المتعلقة بالسلطة والمواطن، وتكمن العلاقة بينهما في حق المشاركة، واعتبار أن السلطة هي خدمة عامة من حق المواطن تغيير حكامه متى أخلوا بمبدأ الديمقراطية. وأن الإنسان عاقل يستطيع الاختيار الرشيد البديل المختلفة وبرامج الأحزاب المتباينة. ويفتح هذا الاتجاه الباب لدراسات واسعة في موضوع الديمقراطية السياسية والاجتماعية ودور أدوات الإعلام والتعليم في تغيير أنماط القيم ومعايير السلوك في المجتمع وهناك رأي أخير يبحث في المتطلبات الاقتصادية والاجتماعية للنظام الديمقراطي. فعلى المدرسة الليبرالية برزت أفكار تربط استقرار النظام الديمقراطي ووجود طبقة وسطى عريضة أو التعليم أو غياب تناقضات اجتماعية واقتصادية حادة.

أما على مستوى المدرسة الاشتراكية فإن نقطة الإنطلاق هي أن الديمقراطية السياسية لا تنفصل الديمقراطية الاجتماعية والاقتصادية، وأن لا حرية لجائع أو محتاج، وأن حق التصويت لا ينفصم عن العيش.

فالطرح الاشتراكي إذن لهذه المسألة يرى أن القيم الديمقراطية ليست قضية قانونية أو سياسية بحد ذاتها هي مسألة وضعية الإنسان الاجتماعية والاقتصادية، وأن الشكل القانوني والسياسي لا يمكن أن يحرر عن سائر الأوضاع الاقتصادية والقوى المتحركة في مصادر الثروة، ومن ثمة فإن قضية الديمقراطية أن تدرس في سياقها التاريخي والاجتماعي.

وهكذا ومن خلال هذه الآراء والنظريات المختلفة والمتنوعة، يمكن تحديد مضامين الديمقراطية، وتعني عند العرب المسلمين العدالة الاجتماعية - في ثلاثة مبادئ أساسية وهي: الحرية والمشاركة.

أولاً: معنى الحرية:

في هذا المبدأ إحترام الحريات المدنية والسياسية للمواطنين: مثل الحريات الشخصية وحرية الانتقال في بناء الأسرة أو العزوف عنها، حرية التعبير والرأي والحق في الإجتماع والتنظيم.

ثانياً: أما المساواة:

مفني في بعدها السياسي والاجتماعي: كل المواطنين متساوين أمام القانون بغض النظر عن الفروق ية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والجنسية أو لون البشرة. وضرورة توفير الظروف الاجتماعية صادية، التي تمكن المواطنين من ممارسة الحرية والمشاركة السياسية.

ثالثاً: المشاركة:

هذا المبدأ فمعناه أن يكون القرار السياسي أو السياسة التي تتبناها الدولة هي خلاصة أفكار مات جمهرة المواطنين الذين يتأثرون بهذا القرار أو السياسة. ويبنى هذا على مبدأ مهم وهو حق كل في المشاركة وإبداء الرأي في القرارات والسياسات التي سوف تؤثر عليه وعلى حياته ومصالحه لية.

الحوار



حوار مع عميد المؤرخين الجزائريين الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله

أجرى الحوار

د. أ. د. عبد الكريم بوصفصاف
والأستاذة دلال لواتي



لا نعتقد أننا نحتاج في بداية هذا الحوار إلى تلك الأسئلة المألوفة: من يكون الدكتور أبو القاسم سعد الله؟ أين درس وكيف أكمل تعليمه؟ وهي معلومات معروفة في الوسط العلمي؟ وإنما سنفتتح حوارنا مباشرة بأسئلة من صميم اهتمامكم واختصاصكم الأكاديمي وتجربتكم الشخصية:

الحوار

ما سرُّ هذا التحول؟ هل هو تدرج طبيعي يعبر عن تطور منهج الاكتساب المعرفي عندكم أم إدراك بعدي لفراغات كان لا بد من ملئها؟
(ج2) هذه مسألة يطول شرحها، كما يقولون، لأن وراءها خلفيات نفسية واجتماعية وبيئية وتاريخية تجعلها طبيعية بل ربما حتمية. وقد تعرضت لها في بعض إجاباتي حين سئلت عنها من قبل آخرين في الماضي. وأود أن ألاحظ بداية أن تراجم العلماء العرب منذ القديم تزدحم بالنماذج التي بدأ أصحابها حياتهم الثقافية بالشعر، وفيهم من استمر في تعاطيه كثيرا أو قليلا، ثم تحولوا من الشعر إلى التخصصات التي عرفوا بها. "فالشعر ديوان العرب"؟ وكل عربي يبدأ مناغاته بالشعر. ونحن نعرف أن ابن خلدون مؤرخ وعالم اجتماع وفيلسوف ولكن قل من يعرف أن له ديوان شعر وأنه ظل يزور (عقبر) الشعر حتى وهو يضع منهجه في علم العمران البشري.
الشعر هو تفجر الشعور وتدفقه بألوان من الموسيقى النافذة والخيال المجنح والتصوير الجميل. وهذه الحالة من الشعور تتلاءم مع ثورة الشباب التي تعبر عن شوب العاطفة وحيوية الغرائز. ومن ثمة كان الشعر مرتبطا بعهد الشباب. والشعراء الذين ظلوا يتفجرون عطاء بالشعر مع الكهولة عددهم قليل بين العرب وغير العرب، إنهم

(س1) الدكتور أبو القاسم سعد الله بداية: ما هو وركم وأنتم تحضرون ندوة علمية خاصة بأعمالكم علمية والتاريخية والفكرية بمخبر الدراسات التاريخية فلسفية بجامعة منتوري، قسنطينة؟
(ج1) قبل كل شيء أقول بأنني أشعر شعور مكر الممتن للذين فكروا في عقد الندوة وبرمجوا وراسلوا الباحثين من أجلها فقد تجشموا العناء ون شك. ومن حسن الحظ أن الندوة أظهرت م خبءاء في هذا الميدان؟ فقد وفروا لها شروط جاح. وربما كانت هذه هي أول ندوة أحضرها في زائر تهتم بالجواهر وليس بالعرض؟ وتترك الجانب احتفالي/ المهرجاني وتذهب إلى الجانب العلمي فكري لتكشف عن آراء الباحثين فيما اختاروه من ضوعات. وقد شعرت كذلك بالرضى النفسي إذ رسالتني (إذا صح أن أسميها كذلك) قد بلغت ري؟ وأن جهدي لم يذهب سدى. أما اختلاف نهات النظر حول انتاجي فذلك من سنة الحياة عتبره ظاهرة صحية وإيجابية لأن الشاء يخفي نقيقة و"حبك الشيء يعمي ويصم".

(س2) أبو القاسم سعد الله من الشعر إلى النقد أدبي، ثم إلى التاريخ، وأخيرا إلى الفكر وشواغله:

سريع ردود الفعل. كلامه إنشائي متحرك
تعتمد اللفظ المنزل والمعنى الشارد. والخطيب العربي قالوا عنه إنه "كم يترك
واردة"، وإذا كتب الكاتب العربي نصوص الصفحات التي دبجها وليس بالأصطادها، ولو كانت في صفحة أو اثنتين
أما اللغة الغريبة (الأنكليزية هنا) فلفظ الألفاظ قياسا على العربية، عقلية المعجم كمزاج أهلها. إنها لغة محدودة اللفظ الأفق، تهتم بالمعنى قبل اللفظ، وتشدد التطويل. فإذا تكلم أهلها فكلامهم احتمالات كثيرة، ولا أدبيات هائلة، ولا متعرجة. وإذا كتب كاتبهم أو خطب خرج عن الفضاء المرسوم ولا الزمن المقدر يتوه عقل القارئ فيجعله يعيش في الغد الحاضر أو يرفعه إلى السماء وهو في الأرض هكذا تعلمت في نشأتي الشرقية أو الغربية ثانيا. فكان علي، وأنا في ذلك أتكيف مع واقعي، فإذا كتبت رسالة إلى عائلتي أو إلى صديق شرقي فإني أبدأ بالحمدلة أو بالبسملة، وأدعو الله له والعافية، وأسأله عن حاله وأشكو إليه حاله إذا كتبت إلى شخص غربي (وليكن صديقا أو إداريا) فإن رسالتي تبدأ بعبارة عليها مسبقا خالية من المجاملة المنمقة والدينية و"اللف والدوران"، بل سأكتفي هكذا: السيد المدير فلان... أو عزيزي فلان الأستاذ فلان... وإذا كتبت مقالة أو نصا العربية فإني أبدأه بمقدمة فضفاضة وأسبغ سماء عريضة قبل أن أنزل إلى الأرض، ونظام الفقرات ولا أرتب الأفكار في وانسجام، وقد أنتهي من كتابتي دون نتائج واضحة مكتفيا بتفريغ شحنتي العاد أما إذا كتبت بلغة غربية فإنه من الضم أقدم موضوعي وعناصره، وألتزم بما وعدت

أصحاب المواهب الخارقة الذين لم يخلقوا لركوب صهوة غير صهوة جواد الشعر، كالمتنبي وشيكسبير، أو الذين "احترفوا" الشعر يتكسبون منه ويتخذونه وسيلة لدعوة من الدعوات. أما التاريخ فهو علم بذاته، له قواعده ومنهجه، وهو قائم على العقل والاحتكام إلى الحقيقة والشهود والوثائق؟ وهو بذلك ينأى بصاحبه عن العاطفة والخيال والصور الملونة بألوان الطيف. الشاعر يفعل وتعتريه هزة كهزة الحمام المنتفض، أما المؤرخ فيفكر ويتأمل ثم يعاود التفكير والتأمل. "وشتان بين مشرق ومغرب"؟ أو بين شاعر جموح ومؤرخ حكيم.

فإذا عدنا إلى العوامل القريبة إلى الفهم فإني أؤكد على أنني كنت، عندما تركت الشعر، قد انتقلت من بيئة شرقية إلى بيئة غربية؟ ومن لغة عربية في التعامل اليومي بكل إيجاءاتها الشعرية التراثية والثقافية؟ إلى لغة غربية (أنكليزية) تتمتع أيضا بكل رصانتها العقلية ودلالاتها العملية. كما تحولت من دراسة الأدب العربي وفروعه والإسلام وروحانيته إلى التاريخ والعلوم السياسية؟ ومن منفعل ذاتيا بالثورة الجزائرية إلى محلل لها لإقناع الناس بمبرراتها وأهدافها.

س(3) تكرر في عدة مناسبات أنكم تعتمدون إلى العقلانية عند التعامل مع كتب الآخر وإلى العاطفة عند التحدث عن الأنا الوطني والإنساني، ما تفسير ذلك؟

ج(3) إن اللغات كالبشر تتأثر ببيئة أهلها أو منتجيتها. فالعربية لغة أهل الفضاء الواسع (الصحراء) والأفق اللامتناهي، وهي لغة القرآن الكريم، ونتاج الوحي الإلهي والخيال الشعري، فهي لغة تستمد صورها ونبرات حروفها وأصواتها من همس السكون الصامت أحيانا، ومن قصف الرعود أحيانا، ومن لفح الحر وزمهرير القر أحيانا أخرى. هذه اللغة هي التي جعلت الإنسان العربي الشرقي (إنسانها هي) عاطفيا بالغ التأثير، انفعاليا

مناهجها وفلسفتها، أو الطموح إلى تنظير من خلال جهد المؤرخين الجزائريين المعاصرين في الجامعات فذلك متروك في نظري للزمن وللآخرين. وفي قناعتني أنه يمكن للمؤرخ أن يضع تصورا لمسيرة التاريخ من وجهة نظره بناء على معطيات دروسها وظروف عاشها وملاحظات بدت له، ثم يترك تصوره للآخرين الذين ليسوا بالضرورة معاصرين له، ليستخرجوا نظريته ويبلوروها ويقيسوها بغيرها ويحكموا على أصالتها أو زيفها. ولكن لا يعلن هو ذلك بنفسه لأن المؤرخ ليس كالعالم الطبيعي له معادلات ثابتة ينطلق منها.

لقد كتب كارل ماركس عن أهمية الاقتصاد في مسيرة التاريخ، ولكن تلاميذه ومعاصريه هم الذين كشفوا عن نظريته وأطروها ووضعوها على المحك وناقحوها عنها. وقبله كتب (هيجل) عن التاريخ ومسيرته نحو المطلق أو المثالي أو الروحي، فجاء تلاميذه والمعجبون بفكره فضقلوا نظريته، ومنهم ماركس، ولكن هذا "صحح" نظرية أستاذه وأقامها على رجليها بدل رأسها - كما قيل -. وقد أعلن (شارل داروين) وجهة نظره في النشوء والارتقاء تحت ضغط الخوف من سبق زميل له في الإعلان عن نظرية داروين وتبنيها قبله. ومن أواخر العلماء والفلاسفة الذين طرحوا تصورهم مالك بن نبي الذي وضع معادلته في نشأة الحضارة، مستندا في ذلك على ثلاثيته المعروفة: الإنسان والزمن والتراب. ولكن تلاميذه ومريديه هم الذين حاولوا أن يضعوا هذه النظرية في إطارها الصحيح. وأنا لا ادعي أنني وضعت نظرية في التاريخ أو الحضارة، سواء بالنسبة لتاريخ الجزائريين أو تاريخ العرب والمسلمين أو غيرهم. ومن أراد أن يستنتج شيئا من ذلك من كتاباتي، كاملا أو منقوصا، صحيحا أو خطأ، فله أن يفعل ذلك، وله أن ينتقد ما شاء مؤلفاتي ووجهة نظري. وفي تصوري أن كل تنظير لا بد له من مقدمات، ومنها جراءة طرح الفكرة،

وأستعمل نظام الفقرات والنقاط والفواصل، ألجأ إلى العبارات الجازمة ولا أجرح خاص، ولا أفتخر بنفسي، بل أتواضع لعمل كلمة "نحن" للجمع لا للفرد، ولا "أنا" فعلت كذا، أو هذا عمل لم أسبق به، أهدد أو أتوعد أحدا، بخلاف الأسلوب ي/الشرقي. وقد انعكس هذا "الأسلوب" على كتيبه أو ترجمته. فإذا كان ما ألفته بالعربية لا فإن صياغته تأخذ منحى عربيا شرقيا - رغم -، وإذا كان ما ألفته بغير العربية فإنه سيتأثر صياغة الغريبة لا محالة، ولو ترجمته بنفسني إلى ية، مثل ما حدث لي مع أطروحتي (الحركة نية).

وهكذا فإن إنتاجي يصبح ذاتيا (عاطفيا) عندما بل، بلغة عربية، قضايا الجزائر والوطن العربي سلمين والإنسان عموما. ولكن نفس الإنتاج محايذا أو عقلانيا إذا تناولت القضايا نفسها غريبة، ويبدو أنه ليس في هذه الطريقة تيار" بل هو منطقي ومحتوم. وأذكر بهذا بدد أنني عندما كنت أتعلم الكتابة باللغة كليزية كانت معلمتي تلاحظ لي باستمرار بأن بتي خيالية في نظرها (أي غير واقعية). وكان رف على أطروحتي يملا فصولي - حين ححها - بعباراته الحمراء اللون والتي تقول: رأي شخصي، أو هذه مبالغة غير علمية، أو ه ليست لغة مؤرخ... ولعل هذه العبارات ك الملاحظات هي التي كانت من بين الأسباب جعلتني أبتعد عن الشعر وأعتصم بالنثر، وربما بقيت في بيئتي العربية الشرقية لبقيت صديقا معر والإنشاء والخيال.

س4) لديكم رصيد كبير أو تاريخ طويل في عة التاريخ وكتابته: هل يمكن أن نتشوف إلى ابات ترقى إلى مستوى التنظير؟

ج4) إذا كان المقصود بالسؤال هو التطلع نروع إلى وجود مدرسة تاريخية وطنية لها

والخلاصة أن إعادة النظر في التاريخ
التاريخ ضرورة يقتضيها التطور البشري
بشرط توفر الثقافة النقدية والتزاهة من
الجديد والكاتب المعاد.

س(6) تعددت مدارس فلسفات التاريخ
القرن العشرين وما تزال خلال هذا القرن
المادية حركة التاريخ الإسلامي تلقي بظلم
البحث الأكاديمي والإنتاج التاريخي في
التفسير الديني. أين موقع أبو القاسم سعد
هذه المدارس؟

ج(6) صدقتم؟ وهناك أيضا مدارس
الحضاري والتفسير المثالي؟ وقد درست (ب)
الراء) مختلف المدارس الفلسفية من البيه
الماركسية إلى الليبرالية؟ وقرأت آراء ابن
وآدم سميث ونيشه وتويني وشبنجلر وسارتر
درست (بتشديد الراء) هذه المدارس لطالما
في الجزائر أو في غيرها. ولكني لا أستطيع أن
حكما على نفسي فأقول إنني تأثرت بهذه
أو تلك أو أعجبت بهذا الفيلسوف أو ذاك. إن
من شأن الدارسين لإنتاجي، إنها مهمة
المختصين؟ فهم الذين بإمكانهم أن يعلنوا
حتى ينفوا تأثري بأي مدرسة أو فيلسوف.
بقيت نقطة أريد أن أجليها هنا؟ وه
التاريخ لا يخضع للتفسير المادي والتفسير
فقط، فمن قال مثلا: إن التفسير الديني
التفسير المادي، وإذا كان ذلك يصدق على
الأديان كالمسيحية (وهو أمر غير مسلم به)
على إطلاقه لأن الليبرالية والمادية الغربية لم
كلية من التفسير المادي في تناولها فلسفة
وإنما المسألة ترجع إلى الأولوية فقط). وقد
ظاهرة الاستعمار قد جمعت بين المادية والم
الغربية؟ وكان السانسيونيون (وهم
المثالية) أشهر المبشرين بالاستعمار في بلاد
حتى قيل أن كثيرا من قواد الاحتلال
يجمعون بين الماسونية والسانسيونية.

ومواتاة ظروف العصر (كالخلدونية وعصرها،
ونظرية صاحب نهاية التاريخ وعصره...)،
ومنطقية الاستنتاج، والتعمق في دراسة الظاهرة
أو الظواهر المرصودة.

س(5) ألا تعتقدون أن الكم الهائل الذي كُتب
في تاريخ المشرق والمغرب الإسلاميين يحتاج إلى
إعادة كتابة، وقبل ذلك إلى إعادة قراءة؟

ج(5) لا شك في ذلك، فعملية التجديد
والاجتهاد في التاريخ لا تتوقف، وإعادة القراءة
تؤدي إلى إعادة الفهم الذي يؤدي بدوره إلى إعادة
الكتابة. ويمكن أن نسمي ذلك بالمعاودة التي يلجأ
إليها الشعراء لتجديد قصائدهم وصقلها وتخليصها
من الزوائد والحشو. فقد كان بعض الشعراء ينعتون
بأصحاب "الحوليات" لأنهم لا ينظمون إلا قصيدة
واحدة في الحول أو العام. فهم يحرصون على
معاودة قراءتها وتهذيبها وتشذيبها حتى تكتمل
وتشتد ويصبح من العسير إسقاط لفظ أو عبارة
منها دون أن يهتز معناها أو مبناها.

إنني أفهم أنكم لا تعنون معاودة المؤرخ
لإنتاجه؟ ولكن لماذا لا؟ فالمؤرخ في حاجة أيضا
إلى إعادة قراءة إنتاجه ولو بعد طبعه مرة أو أكثر؟
ذلك أنه كلما أعاد قراءة ما كتب سيكتشف أنه
في حاجة إلى توثيق رأي أو تدعيم مصدر؟ أو
تهذيب معنى أو حذف عبارة. وليس في ذلك أي
حرج أو مأخذ لأن المؤرخ يكتشف مصادر جديدة
من حين لآخر؟ وقد يهتدي إلى حكم أكثر توازنا
من الحكم الذي أصدره سابقا. وهكذا؟ وذلك هو
معنى البحث الذي لا يعني اكتشاف الجديد فقط
بل يعني أيضا تصحيح القديم وإقامته على سوقه.
وأعتقد أيضا أن المؤرخ لا يرجع إلى كتب
سابقه بنظرة قداسة؟ ولكن بنظرة نقدية؟ مع
الأخذ في الاعتبار بيانات هؤلاء المؤرخين، وثقافتهم
والمؤثرات عليهم، وعصرهم. وسوف يكتشف
أنهم كانوا مثله من نتاج مرحلة يصدق عليها النقد
لاكتشاف الاختلاق والتزوير والتجريح.

تحتاج إلى إعادة صياغة وتركيب جديد؟ قد يخطئ خصوصية أدت للتاريخ الثقافي الجزائري؟
(ج8) للأسف، لم أفهم هذا السؤال ولذلك أعذر عن الإجابة عليه.

(س9) نظم مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية ندوة حول أعمالكم بحثا عن ملامح مدرسة تاريخية جزائرية في رأيكم: هل يمكن أن تتصور مدرسة تاريخية جزائرية في طور التكوين؟ وفي ظل العولمة التي خلطت الأوراق بين المذاهب والمدارس؟ وعلى أي مدى ذهبت هذه المداخلات في تصور ملامح هذه المدرسة؟ لا سيما وأن معظم هذه المداخلات كانت من الباحثين الشباب؟

(ج9) كون المخبر أقام الندوة "بحثا عن ملامح مدرسة تاريخية جزائرية" اعتبره محاولة في الطريق الصحيح، وكون معظم المداخلات كانت من شباب الباحثين اعتبره أيضا أمرا مفرحا ومبشرا بخير. أما كون مدرسة تاريخية جزائرية أصبحت قائمة أو بصدد التكون فذلك ما لا أستطيع المغامرة به. إن الغير هو الذي يحكم على وجود أو عدم وجود هذه المدرسة؟ وهل ظهرت ملامحها أو مازالت غير واضحة المعالم؟ كل ذلك ليس من شأني الحكم عليه الآن.

ها نحن نرجع إلى النقاد مرة أخرى وليس إلى المنتجين. فكما أن المؤرخ لا يمكنه القول إنه أبدع نظرية فذلك لا يمكنه القول إنه صاحب مدرسة تاريخية متميزة. نعم نحن نكتب ونحاضر ونحدث عن مدرسة تاريخية استعمارية احتكرت الكتابة عن بلادنا ووجهتها في تنسيق محسوب؟ لتحطيم مقومات تاريخنا، طبقا لمنهج معين وفلسفة تقوم على الخط من قيم الشعوب المستعمرة. عموما وإسقاط حقها في المساهمة الحضارية، بل واحتقارها. حقيقة أنه قد ظهرت عندنا منذ العشرينات من القرن العشرين ردود فعل على هذه المدرسة في كتابات بعض مؤرخينا الهواة أمثال الميلي والمدني والجيلالي والساحلي. ثم

وإذا رجعنا إلى الدين الإسلامي فإننا سنجد التفسيرين لا يكادان ينفصلان، فالخليفة هو إمام من جهة وحاكم من جهة أخرى؟ فهو يجمع بين الزمني والروحي في مسيرة التاريخ. وكم نحن في حاجة اليوم إلى إعادة القراءة لهذه المصادر واستنباط إيديولوجية فيها تفتح طريق التقدم والاجتهاد وتحرر تاريخنا من ربة المفاهيم الجاهزة.
(س7) ألا تعتقدون أن موسوعتكم حول التاريخ الثقافي الجزائري تحتاج إلى إضافات على ضوء كشف إنتاج جزائري جديد مخطوط؟ وكيف يمكن أن توجهوا الباحثين إلى الوسائل المادية والمنهجية في ذلك؟

(ج7) هذا مؤكد. إن تاريخ الجزائر الثقافي لا يتوقف عند النقطة التي أنهيته بها أو عند المعلومات التي وفرتها له سواء أثناء حياتي أو بعد مماتي. فأنا على يقين أن طبعاته اللاحقة ستحمل مراجعات عديدة بناء على الوثائق والمخطوطات الجديدة، فهو كتاب جمع كثيرا من المادة وغطى موضوعات متشعبة وتناول شخصيات ومراحل وأحداثا لا تكاد تنحصر. فكيف يدعي مؤلفه أنه لا يحتاج إلى الإضافة والتنقيح والتوثيق والتصحيح؟ وكل ما أتمناه على الباحثين الجدد هو عدم القناعة العلمية؟ فالباحث إذا اقتنع بعلمه مات. وليس من العيب أن نعرف رأي الناس فيما نكتب وكيف نكتب؟ ففي ذلك مزيد من الخبرة والثقة؟ لأن البحث ليس عملا سريا يجب كتمانته؟ بل هو عمل للنشر والإذاعة.

فعلى الباحث أن يكون متزودا بالروح العلمية التي تعني التسامح وقبول الرأي الآخر؟ والقدرة على الفهم والتحليل؟ والاستفادة من منهج البحث الحديث، مع التواضع.

(س8) يبقى سؤال آخر حول موسوعتكم الثقافية:

ألا تفتقدون - وأنتم تتطلعون إلى الباحثين الشباب الذين طلبتم منه ألا يكون راضيا- أنها

المشرق بالشهادات والإجازات. وقد
الجزائريون - وما يزالون - جزءاً من هذا
الذي يطبع سكان المغرب العربي.

وفي العصر الحديث سيطرت المدرسة
على أذهان المغاربة (والجزائريين بالتحديد)
باعتبارهم أول المتأثرين (الضحايا؟) بهذه
الجديدة، أي منذ 1830). ورغم وضع الجزائر
القفص الفرنسي (الأوروبي) وإخضاعها
"غسل مخ" منظمة هدفها ربط الجزائر
الأوروبية (الفرنسية)؟ فإن الجزائريين قد
تخطيم هذا القفص بثوراتهم المستمرة
للتجنس، واحتمائهم بحرم الإسلام وقد
العربية وشهودهم مؤتمر الحج الأكبر وطلب
في المشرق... وهكذا بقي الجزائريون با.
والمغاربة بالعموم على اتصال طوعي
المشرقية؟ لأنهم كانوا يرون فيها حبل ال
الفرق المحتوم. وبعد الاستقلال حدث في
من أقطار المغرب العربي انكماش ذاتي
الجمع بين المركزيتين (المشرقية والأورو
مركزية وطنية قطرية، ولكن جهود مؤرخ
المغاربة بقيت مشتتة وغير متجاوبة مع
متباعدة، للأسف. لذلك لا نتظر مركز
ما دام الوضع على ما هو عليه في أقطا
العربي؟ وهل يمكن لأي قطر أن يسير
هذا الطريق؟

هناك أسئلة لا تبتعد عن الأكاديمية؟
بعض الفضول، إذا سمحتم بطرحها
س11) عدم حضوركم في الكثير من
العلمية والبعيدة عن المهرجانات الشعبية
تعللون بها عدم حضوركم؟

ج11) لم أقاطع الملتقيات والندوات
والأكاديمية عن موقف معين أو فلسفة
ولكن التزاماتي الكثيرة تجعلني أحض
وأعتذر عن الباقي. ثم إن الحضور يقتض
بحث أو على الأقل مداخلات ذات في

استقلت الجزائر وظهرت أقسام التاريخ في
الجامعات وأصبح لدينا مؤرخون محترفون أو
اكاديميون؟ ولكن هل نجح الهواة أو المحترفون أو
هما معا في وضع أسس مدرسة تاريخية وطنية في
حجم المدرسة الأخرى؟ أو هل قاموا فقط بردود
أفعال لم ترق إلى ابتكار نظرية مستقلة في التاريخ
الجزائري (والعربي الإسلامي عموماً)؟ ذلك شأن
ما يزال في نظري مطروحاً للنقاش.

س10) في إطار الكتابة التاريخية؟ هل تعتقدون
أن المركزية الأوروبية والمركزية المشرقية؟ مازالتا
تهيمنان بشكل مباشر وغير مباشر على الكتابة
المغربية عموماً والكتابة الجزائرية خصوصاً؟ أم أنه
آن الأوان لاعتراف كل من الدوائر العلمية
الأوروبية والمشرقية بالخصوصية المغربية وبالبعد
الأكاديمي الذي انتهجته؟

ج10) ها نحن مرة أخرى نعود إلى الموضوع
ولكن من زاوية أخرى - الزاوية المغربية عموماً
والجزائرية خصوصاً. فمنذ القديم كان المغاربة
يشكون من سيطرة المدرسة الشرقية في التاريخ
والأدب والفقه والفلسفة ونحوها. ولا يكاد
المشاركة يعترفون بالفضل (أي بمدرسة خاصة)
للمغاربة، بمن فيهم الأندلسيون. وكلما أنتج
المغاربة فكراً في مجال معين واجههم المشاركة
بالمقولة المعروفة: "هذه بضاعتنا ردت إلينا". وقد
ساعد على ذلك وجود المركزية (الخلافة) في
المشرق قروناً عديدة؟ ووجود مراكز الثقافة في
الحجاز ودمشق وبغداد والقاهرة. ورغم ظهور
حواضر القيروان وقرطبة وفاس وتلمسان فإنها
- في نظر المشاركة - لم تصبح حواضر مركزية
وإنما كانت حواضر إقليمية مثل الري وصنعاء
وحلب والقدس. وفي هذا حجة واضحة لا تحتاج
إلى مناقشة. يضاف إلى ذلك أن المغاربة كانوا -
مثل الأمريكيين قبل الحرب العالمية الأولى بالنسبة
لأوروبا - لا يعتبرون أنفسهم قد تثقفوا وحصلوا
على القبول العلمي في بلادهم إلا إذا تزودوا من

نهاية. والمفترض أن هذه الحالة تدفع بالمتقشف إلى المزيد من الإبداع نتيجة الاحتراق الداخلي والتوتر. ويصح هذا أكثر في الحالات التي تتعرض فيها آمال الأمة إلى القمع أو الانحراف؟ "وتسوء أحوال الزمان" كما يقول القدماء. وفي عصرنا هذا خابت آمالنا في انطلاقة نوعية للجزائر بعد استقلالها المعجزة نتيجة الانقلابات والوقوع في فخ المؤامرات التي جعلتنا نأكل لحوم بعضنا بدل السعي الحثيث لتدارك ما فاتنا في مسيرة التقدم وتحسين أنفسنا بسرعة لاستعادة هويتنا لأن الجميع كانوا -قبل الثورة- يشعرون أنها قد شوّهت وحرّفت عن مسارها. وبذلك صدقنا بأنفسنا على مقولة أعدائنا بأننا ماهرون في حرب العدو وفاشلون في بناء الدولة. يبدو أننا لا نعرف كيف نتحاور لنصل إلى الحل الوسط؟ ولا نعرف كيف نحافظ على ما اكتسبناه لنضيف إليه مكاسب جديدة؟ إنه من السهل حمل معاول الهدم ولكن من الصعب تشييد البناء.

أين الجزائر "النموذج" للعالم الثالث؟ أين وحدة المغرب العربي التي كانت أقرب إلى التحقيق في عصر الاستعمار منها في عصر الاستقلال؟ أين الوحدة العربية التي تتحول أمام أعيننا إلى سراب دون أن ننس نبنت شفة؟ أين وحدة الأمة الإسلامية التي أصبحت تتوارى عن الوصمة "بالإرهاب"؟

لقد مزقنا الجزائر إلى ولايات وأعراش؟ وربما فيدراليات؟ وماذا بعد؟ وسمحنا للمبشرين بأن يفعلوا فعلهم على مرأى ومسمع الجميع فخطفوا منا شبابا في عمر الزهور في هذه المنطقة أو تلك من وطننا الحبيب، متحدين بذلك وحدتنا الصلبة التي قاومت الأعاصير والتي بناها أجدادنا بدمائهم منذ قرون. وساهمنا في إهمال شبابنا الذي تركناه نهبا للمخدرات والشعوذة والملاهي، والهجرة غير الشرعية، والدخول في منظمات مشبوهة، وربما التعامل مع دول تكن لنا العداء وتربص بنا الدوائر. فكيف أعلل نفسي بتحقيق الأماني التي هربت

أما للداعين والمشاركين. وهذا الحضور نداد والسفر تتدخل بدون شك في برنامجي نصي ومشاريعي البحثية. ومع ذلك فإنني أحكم بأنني لا أرى كبير فائدة في الملتقيات ليس وراءها خدمة مباشرة وواضحة للوطن بل وللعلم والثقافة. إن إهدار المال العام في جانات والاحتفالات لا يفيد البلاد شيئا في؟ بل ربما يزيدا تفريقا وتمزيقا لأن المنافسة حث غير وطنية إذ تتجاذب كل جهة الأبطال ماء وكأنهم ملك خاص لها. وأصارحكم بأنني أفضل بناء المكتبات وشراء الكتب ونشر ث على الملتقيات التهرجية أو العشائرية أو التي ن الجمهورية.

س (12) عرضت عليكم عدة مناصب سياسية؟ ثم ترفضونها؟ ما تعليل ذلك؟

ج (12) نعم، عرضت علي مناصب سياسية من رة إلى السفارة؟ وقد اعتذرت عنها لأسباب أنني على قناعة بأنني أكون أكثر فائدة للوطن موقعي كأستاذ وباحث؟ وأن غيري يستطيع بتلك المناصب. ومنها أن طموحي لا يتجاوز خلقي الله من أجله وهو البحث العلمي راسة وتكوين جيل من الباحثين والمثقفين. أ أن أبوي - رحمهما الله - قد نذراني للعلم، الوفاء لهما تلبية رغبتهما. وأخيرا فإنني أحس مادة الغامرة بما أنا فيه، وأجد لذتي الكبرى في ي القلم والقرطاس والعيش مع الأفكار وهموم مان، ولا أطمح إلى أبعد من ذلك.

س (13) في جو حميمي وبلهجة حزينة تنم عن العارف وعدم قناعة العالم؟ قلتم إنكم لم وا الكثير من أمانيتكم؟ وإن كان الذي يسألكم ي إلى جيل الشباب الباحث يناشدكم أن ره ولو بعضا من أمانيتكم التي لم تتحقق؟

ج (13) من سمات المثقف الأصيل الإحساس بة الدائمة وبالقلق النفسي وعدم الرضا بالحال؟ بوره بأنه يسير وحده في طريق شائك، بدون

مني؟ وكيف أكون راضيا على حالي في ضوء ما أري وما أسمع؟
 (س14) أود أن أعرف ما حضور تلك المؤسسة (الزوجة الكريمة) في أعمالكم الأدبية والنقدية والتاريخية خاصة؟ وأن هذه الأعمال تحتاج إلى جهد كمي وزمني ونفسي؟ ما طبيعة مساعدتها لكم؟ وهل هي وراءكم؟ أمي
 (ج14) أنا مدين لمرأتين في حفظي القرآن وزوجتي. وقفت والدتي ورأي في حفظي القرآن الكريم في جامع البدوع بقمم ثم الدراسة في جامع الزيتونة بتونس، أسوة بأخيها (خالي) لأكون مثله عالما محترما، معتقدة أن الله قد فتح عليها "القدر" (ليلة القدر)، وأنا طفل، فلم تطلب من الله شيئا غير العلم الشريف. وهي التي رسخت في هذه الفكرة حتى عشت بها كل حياتي، معتقدا في قرارة نفسي أنني رجل "قدر" وأن الله قد اختارني لمهمة وهي خدمة العلم الشريف (الدراسة والبحث) وأنتي لم أخلق لغير هذه المهمة. وقد طغت علي هذه الفكرة حتى إذا حدثتني نفسي بتغيير مساري راودني (القدر) وحضرت أمامي صورة والدتي وصوتها فأعود إلى مساري وقدري. ثم كانت شريكة حياتي (أم أحمد) فقد فهمت طبيعتي وطموحي وحدود حركاتي فساعدتني بما تعرف وما تملك، أولا بتوفير شروط العمل رغم صعوبات المحيط الذي عشنا فيه، وثانيا بإعانتني بشتى الوسائل وإبداء الرأي

أحيانا فيما أكتب، فهي صاحبة رأي حسيب واسعة. وكان تفرغي لأبحاثي وكثرة يحرمانيها أحيانا من بعض حقوقها ومع ذلك تقبل ذلك بكل رضى وطيب خاطر، وتشجع مواجهة الصعاب في سبيل هدفي النبيل.
 (س15) آخر ما نختم به حوارنا هو موضوع أعمالكم التاريخية؟ ومشاريعكم المستقبلية من الفيض الكثير من الإنتاج الأدبي والتاريخي وال...
 (ج15) آمال الإنسان لا حدود لها إذا صحته جيدة. وأنا قبل وبعد كل شيء أشكر على نعمائه، فبفضله أنجزت ما أنجزت، والآن على جمع مادة التاريخ الثقافي في الثورة؟ ورصد تطور العالم العربي الإسلامي الحرب العالمية الثانية، وتحقيق النسخة الأصلية كتاب (تحفة الزائر) التي كانت قد سرق مؤلفها؟ وإصدار يومياتي (ذات الأجزاء) بدأت في تسجيلها وأنا طالب في سنة 1956م وكذلك إصدار مذكراتي. ذهني كتابة التاريخ الفكري للمغرب العربي الفتح الإسلامي وقد جمعت له مادة طيبة الآن. ومن مشاريعي العملية إنجاز بحوث الذين أشرف عليهم، والقيام بواجب لطلبة الدراسات العليا. ولكني قبل كل شيء الله الصحة والعافية ورضى الوالدين. ودمتم أبا مشرفا وعميدا للمؤرخين الجزائريين.
 أجري الحوار: مدير المخطوطات د. عبد الكريم بوصفصاف والأستاذة: دلال لواتي
 يوم 2004/01/14 الموافق لـ 22 ذو القعدة 1425